ما ابتذل الشعر واقترن بالصنعة وخاصة فى القرنين الثالث والرابع ، فنفى أبو فراس الحمدانى عن نفسه صفة الشاعر وقال :

نَطَمْتُ بفضلى وامتدحنى عشيرتى وَمَا أَنَا مَدَّاحٌ وَلَا أنا شَاعِرُ

ذلك لأنه أمير يعتزّ بمكانه من العرب ونسبه فى القبائل ، فلا يرى أن يسلك مع هؤلاء المدّاحين الذين اتخذوا الشعر آلة للتكسب ، يحملون قصائدهم إلى أبواب الوجهاء والوزراء والأمراء فيؤذن لهم بالوقوف بين أيدى هؤلاء ، وينشدون قصيدهم ثم ينصرفون بصرّة صغيرة أو كبيرة ، وهم بها مستبشرون فرحون . والمتنبى تعاظم حتى اشترط أن لا يقف بين يدى ممدوحيه ، فأنشد قاعداً ، ولذلك سقط الشعر ونزل عن صولجانه وعزته وكرامته لهذا المديح التجارى ، بعد أن كان للشاعر المقام الرفيع تهنئ القبائل بعضها بعضاً بنبوغ الشاعر وتفرح لنشيده وتقوم وتقعد لقوله ، وانقضى ذلك الزمن السحيق حيث يمجد الشاعر وتفرش الولائم لمقدمه ، وتصنع الأفراح لانتقاله ، ويحل من الملوك محلّ الأخ والخدن والصديق يحكم فى أموال الملوك ويقرّب كما قلنا . وذلك لأنه كان يخص شعره بالملك والخليفة فلا ينحدر ولا يسفل ، ولكنه امتدح من دونهم وأصبح يبغى فى صيده الأسد والهرّ معاً ، ويعود بغنيمة حيناً أو يرجع صفر اليدين أحياناً ، كما قال المتنبى :

وشرُّ ما قنصته راحتى قَنَصٌ شهب البزاة سواءٌ فيه والرَّخَمُ

فكثر الفقر بين الشعراء ، وأصبح النقاد يقولون : « أدركته حرفة الأدب » ومردّ ذلك كله إلى هذا المديح الذى نعرض بعض صوره العباسية عرضاً سريعاً لنتبين الغاية التى كان يهدف إليها من بلوغ المال وقضاء الحاجة والسعى فى لقمة العيش . وقد لازم العصور العباسية كلّها ، وورثنا إلى اليوم نظرة الناس إلى الشاعر المدّاح ، فلم يخلف الشعراء المعاصرون ظن النقاد وقلدوا العباسيين فى ذلك ، فأدركتهم حرفة الأدب كذلك ، وا ويلتاه ، وراحوا يمدحون إذا نالوا